# سورة الفيل –دراسة صوتية-

د.رافع عبدالله مالو(*)
د.عزة عدنان احمد(**)

## ملخص البحث

كشف البحث غرابة الإهلاك في السورة من خلال الإيقاع في السورة فضلا عن أصواتها ومقاطعها الصوتية ، حيث جاءت المقاطع الصوتية متناغمة مع المعنى، فحيثما كان السياق مصوراً أو متحدثاً عن فعل شديد أو حركة سريعة وجدنا مقاطع سريعة أو شديدة ، وكذا كان شأن الإيقاع فتسلسل إيقاع المد في السورة أظهر المحاكاة السياقية من خلال الأصوات الحبيسة (الصامتة) تارة ومن خلال الطليقات (الحركات) تارة أخرى .

## Alfeel Sora in The Glorious Koran: A phonological Study

Dr. Rafea A. Maloo
Dr. Azaah A. Ahmed

## ABSTRACT

The research revealed the strangeness of death in that Sora through its rhythm in addition to sounds and tones that came in harmony with the meaning, and wherever the context was visualizing or speaking of a sever and strong act or a rapid action we found rapid and strong sounds and tones. The same is applied to the rhythm. Its sequence of vowels in the Sora

(*)مدرس في قسم اللغة العربية،كلية الآداب،جامعة الموصل.
(**) مدرس في قسم اللغة العربية،كلية التربية،جامعة دهوك.

showed the contextual imitation through the voiceless sounds on the one hand, and through the mixture of vowels and consonants on the other.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي
تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن
سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

ليس القرآن كتاب قصص أو تاريخ، ولكنه كتاب هداية يرمي إلى التأثير في النفس، يلقي العظة مبيناً ما في أتباعها من خير وضارباً المثل من التاريخ على صدق ذلك (ï)، وليست القصة القرآنية فيه، عملاً فنياً مقصوداً لذاته فحسب، بل "للإرشاد و الإيمان والعظة وشرح الأوامر والنواهي الشرعية ونشر فكر الحق والخير والتعاون، لذا نجد معظمها إن لم يكن جميعها يخرج عن الحدود التي رسمها النقاد للقصة الفنية"( )، وسورة الفيل لا تكمن الغرابة فيها في كيفية الإهلاك فحسب، وإنما في ما يخص أصوات السورة ومقاطعها الصوتية أيضاً، فمن إنعام النظر فيها تبين لنا أن عدد المقاطع الصوتية (ص ح) Ñ = (ص ح ص)Ò و = 25 ، أما (ص ح)Ó ف = (ص ح ح ص)Ô و = 5، وعدد المقاطع المفتوحة = المغلقة و = 30 والجدول الآتي يرينا ذلك:

| الآية | ص ح | ص ح ح | | ص ح ص | | ص ح ح ص | | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | العدد | الصوت | العدد | الصوت | العدد | الصوت | |
| 1 | 10 | 1 | آ | 5 | م ي ب ص ل | 1 | ي | 17 |
| 2 | 2 | 1 | ي | 6 | م ج ل ي م ض | 1 | ي | 10 |
| 3 | 5 | 1 | آ | 5 | ر ي م ي ن | 1 | ي | 12 |
| 4 | 3 | 2 | ي آ | 5 | ر م م ن ج | 1 | ي | 11 |
| 5 | 5 | 0 | | 4 | م ص م همزة | 1 | و | 10 |
| المجموع | 25 | 5 | | 25 | | 5 | | 60 |
| | 41.7 % | 8.3 % | | 41.7 % | | 8.3 % | | |

ولما كانت الحركات تشارك الحروف في المحاكاة (ٍ)، فقد جاءت المقاطع الصوتية متناغمة مع المعنى، فحيثما كان السياق مصوراً أو متحدثاً عن فعل شديد أو حركة سريعة، وجدنا مقاطع سريعة أو شديدة (ص ح) و (ص ح ص) كما في قوله تعالى [ألم تر كيف فعل ربك] أو [ألم يجعل كيدهم] أو [وأرسل عليهم طيراً] أو [فجعلهم كعصف]، وحيثما كان السياق يتحدث عن شيء عظيم، وجدنا "مساحة التضخيم والتفخيم" (ٍ) من خلال مقاطع صوتية طويلة (ص ح ح) و (ص ح ح ص) كما في [ بأصحاب الفيل ] –وقوتــهم لا تنــكر–(×) أو (تضليل) (أبابيل) و (سجيل) و (مأكول)، فضلاً عن دلالة الألفاظ اللغوية( ïï).

ويلفت النظر تغير الفاصلة من (ي ي ي ي) إلى (و) لما في الياء من حاجة عند النطق بها إلى جهد عضلي متأت من وضع الحنك إذ ينسحب إلى الأسفل وتنفرج الشفتان، وهذه الصورة أو الهيئة لأعضاء النطق تحتاج إلى شدة تتطلب جهداً عضلياً تَناسَبَ ومضمون الآيات، بخلاف وضع الحنك والشفتين عند النطق بالواو، وكأن انبساط الشفتين ينسجم مع انبساط سلطان أبرهة وامتداده، في حين يمثل انضمام الشفتين إلى بعضهما واستدارتهما، تضاؤل هذه القوة ونهايتها( ïï)،

فضلاً عن ذلك فان تسلسل إيقاع المد في السورة يعبر عن هذا أيضاً لتتمظهر المحاكاة السياقية من خلال الأصوات الحبيسة (الصامتة) تارة ومـــن خلال الطليقات (الحركات) تارة أخرى[ï]، والشكل الآتي يوضحه:

آ ي ي ي آ ي ي آ ي و

ولو أنعمنا النظر في مفردات السورة لوجدنا ما يتفق ومعنى السورة، فاستعمال ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في الآية الأولى يرينا سرعة الإيقاع وشدته متمثلة باستعمال (لم) ذات المقطع المقفل بصامت (ص ح ص) دون (ما) ذات المقطع المفتوح (ص ح ح)، فناسبت (لم) حالة الضرب السريع الشديد والوقع المتكرر الخاطف، والتقاء الهمزة الشديدة مع (لم) الجازمة وأجزاء العبارة ناسبت هي الأخرى دلالات الحدث[ïÑ]، فضلاً عما فيها من تقرير[ïÒ].

واستعمال (كي ــ ف) بمقطـــــ عيها (ص ح ص + ص ح) دون (ما) بمقطعها (ص ح ح) الطويل يكمل هذا، فضلاً عن أن استعمال (كيف) كان لإظهار الإعجاز في كيفية الإهلاك.

ويأتي استعمال (فعل) دون (عمل) المختلفين بصوتي الفاء والميم، لما في الفاء من صفة التفشي والانتشار ولما في الميم من حبس، والانتشار هنا أنسب وأقوى، فضلاً عن دلالة (فعل) المختلفة عن (عمل) فهي تقتضي السرعة المناسبة لهذه الحالة، لأن العمل لما كان مع امتداد الزمان، أمّا الفعل فلا يحتاج إلى زمن[ïÒ].

والمد في (أصحاب) يختلف عن المد في (الفيل) كون الأول يمثله صوت الألف، وكأنه مناداة وطلب استغاثة ومعونة، ولو قيل (أهل) لما كان كذلك، فالإنسان يستطيع أن يختار أصحابه دون أهله وأقاربه، وهنا المصيبة كبيرة لأن الصاحب الذي اختير لم ينفع شيئاً، أما المد الثاني المتمثل بصوت الياء في (الفيل)

فيصور بحركته الطويلة حركة الفيل، وانتهاؤه بصامت يمثّل توقف الفيل عن الحركة والمشاركة في المعركة، وكيف لا وهو الصاحب الساحب لهذه الخسارة!

وفي الآية الثانية تُظهِرُ (ياء) (كيد) و (في) و (تضليل) إعجازاً آخر من خلال ما لأصوات المد واللين من جانب شعوري لا نستطيع أن نهمله وان كان غامضاً [ÏÔ]، إذ الأولى متوسطة، فهي صوت لين، تعبر عن قلة زمن الكيد، أما الثانية والثالثة فطويلة، لأنها صوت مد، تعبر عن طول زمن التضليل، وهذا مقصود في الآية بدلالة استعمال (في تضليل) دون (ضالاً) أو (مضللاً) فضلاً عن دلالة الظرفية و الإغراق وموسيقى الفاصلة، "فالجمال السمعي جمال حسي يبين جوانب موسيقية في المفردة من حيث وقع حروفها وصفات هذه الحروف و ملاءمتها للمقام وما تمتعت به من مدود وحركات"[ÏÕ].

ويأتي استعمال (أرسل) دون (بعث) في الآية الثالثة لما في الراء من تكرير ولما في السين من إسماع وصفير، ولاسيما أن الراء ساكن، لتناسب الحال، فهذه الحادثة رسالة لهم وللأمم الأخرى من بعدهم، وفيها تتسق سرعة الإرسال مع قوة الإيقاع باستخدام مقطع طويل مفتوح واحد (ص ح ح) في الآية كلـــــها، وآخر مديد (ص ح ح ص) من مجموع (12) مقطعاً صوتياً.

ويبدو لنا أن استعمال وصف سجيل للحجارة[18]، بتضعيف الجيم الانفجاري الشديد والمد اللاحق لها، يعبّر عن صلابتها وأثرها القاتل، بل وصوتها وهي تسقط قبل ذلك، بالسين الصفيري في أولها، مقابل هذا نرى قلة أصوات الصفير في السورة مقارنةً بالغنة م/11، فكأن ما يسمع هو أنين الألم، ويتناغم استعمال ضمير الغائب في الحديث عنهم، فكأنه يعبّر عن غيابهم أو بعدهم، وبالتالي عدم استطاعتهم إسماع صوتهم أو استغاثتهم، أما تكرار صوت اللام في هذه السورة 14 مرة –وهو صوت مجهور ذو وقع قوي– فقد أكسب قيمة تعبيرية أضفت على السورة إيقاعاً صوتياً جاء منسجماً مع الحدث، فناسب المشاهد التي توحي بالفناء والهلاك الذي

(19)، حل بأصحاب الفيل من خلال الضربات الإيقاعية التي أسهم بتكراره في إحداثها فضلاً عن هذا فان قلة أصوات الاستعلاء في السورة توحي باستفال قوتهم، ولاسيما أن أصوات الاستعلاء وردت في الألفاظ (أصحاب، تضليل/ طيرا، عصف)، فلا علو ولا استعلاء صوتا أو صيتا، كما أن استعمال الفعل المضارع (ترميهم) المحاط بفعلين ماضيين [ أرسل (ماض) ... ترميهم (مضارع) .... جعلهم (ماض)] المفيد لاستحضار الحالة واستمرارها بسكون رائه وامتداد ميمه، يعطي إطالة زمنية تعبر عن استمرار الرمي، وبالتالي استمرار الألم والخسارة، والفرق الزمني بيّن بين صيغة رمتهم ومقاطعها الصوتية (ص ح + ص ح ص + ص ح ص)، وبين صيغة ترميهم ومقاطعها الصوتية (ص ح ص + ص ح ح + ص ح ص)

وتأتي الآية الأخيرة التي تتسق تماماً مع معناها، إذ تتوالى في بدايتها الحركات [فَ جَ عَ لَ هُم كَ] كأنها عملية هضم سريعة داخل الفم، والواو في مأكول، بامتدادها توحي بنزول الطعام من الفم بضم الشفتين إلى المريء بطول المد في الواو، ويزيد التشبيه بحرف الكاف (كعصف مأكول) من السرعة ويوفق رؤوس الآي، ولو قيل فجعلهم عصفاً مأكولاً لتغيرت المقاطع وتغــيرت الفاصـــلة، ويعزز استعمال (جَعَلَ) و (عَصْف) من قوة الإهلاك، بقوة أصوات الجيم والعين غير الموجودة في (تركهم) مثلاً وعن لفظة (عصف) المشحونة بالخفة والتطاير ( ) الموحية بنتائج العاصفة الشديدة التي لا تبقي على شيء ولا تذر، فضلاً عن دلالة الفعل (يأكل) التي تضاف لها قيماً تعبيرية إضافية عند تحولها إلى صيغة مأكول( )، ولاسيما أنه "ليس كل من جعل شيئاً على صورة تركه عليها"( ).

وتجدر الإشارة إلى وجود علاقة بين سورة الفيل والسورة السابقة لها ، و السورة اللاحقة لها ، فأما السورة السابقة فهي سورة الهمزة ، التي توعدت جماعة من المشركين كانوا أقاموا أنفسهم للمز المسلمين وسبهم واختلاق الأحدوثات السيئة عنهم( )، لذلك نجد أن أكثر الأصوات تكراراً كان صوت اللام، الذي تكرر ( 24)

مرة فحصل على ما نسبته 17% من أصوات السورة (٥)، وفي هذا إشارة – وهو صوت منحرف– على انحراف هؤلاء المشركين عن جادة الصواب في أعمالهم هذه(٥) .

وبعد سورة الهمزة ، تأتي سورة الفيل التي تبين كيف استجاب الله سبحانه وتعالى دعوة خليله إبراهيم (عليه السلام) وهو يتوجه إليه عقب بناء البيت وتطهيره [وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام//آ: 35-إبراهيم] و[ربنا إني سكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون//آ: 37-إبراهيم] فبات البيت آمناً عتيقاً من سلطة المتسلطين، بعد حادثة الفيل التي كان لها أثر مضاعف في زيادة حرمته عند العرب في جميع أنحاء الجزيرة وزيادة مكانة أهله وسدنته من قريش وكفْلُ الأمن والسلامة لجيرته في التجارة (٥)، لذلك وردت سورة قريش بعد سورة الفيل (٥) مبتدئة بذكر الإيلاف وهو مصطلح تجاري يدل على "العهد والأمان الذي يتم التعاقد عليه بين قادة الأمم لتأمين خروج ودخول السلع التجارية والحاملين لها في أراضي الذين تعاقدوا على الإيلاف" (٥)، أما أغراضها فكانت أمر قريش بتوحيد رب البيت الذي آمنهم من المجاعات والمخاوف، لما وقر في نفوس العرب من حرمتهم لأنهم سكان الحرم وعمّار الكعبة.

## هوامش البحث

---

( ا) من بلاغة القرآن/239 و ينظر: 229.

( ) ينظر: التعبير الفني/216-218.

(3) (ص ح )هو رمز للمقطع الصوتي القصير المفتوح ، وفيه (ص) هو الصوت الصامت المتمثل بالحرف بدون حركة ، (ح) هو حركة الحرف ، مثال على هذا المقطع : قَ ، قُ ، قِ .

(4) (ص ح ص) هو رمز للمقطـــع الصـــوتي القصـــير المغلق أو المقفل بصامت .مثال على هذا المقطع : قَدْ ، لَمْ ، لَوْ ، لَنْ .

(5) (ص ح ح ) هو رمز للمقطع الصوتي الطويل المفتوح ، وحركته طويلة لأنها متكونة من حركتين قصيرتين . مثال على هذا المقطع : لا ، لو ، لي .

(6) (ص ح ح ص) هو رمز للمقطع الصوتي المديد المقفل بصامت ، مثال على هذا المقطع : باب ، نالْ ، شابْ ، طولْ ، فيلْ .

(Õ) جماليات المفردة/329.

(Ö) الإعجاز الصوتي في قصار السور/24.

(×) ينظر: قصة أصحاب الفيل في معارج التفكر 2/9-14.

( ÎÏ) ينظر: معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري/1.

( ÏÏ) سورة الفيل دراسة تحليلية في بنيتها المقطعية/9.

( Ï) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم/78.

(ÏÑ) الإيقاع أنماطه ودلالاته/72.

(ÏÒ) ينظر: من بلاغة القرآن/164.

(ÏÓ) ينظر: صفاء الكلمة/69.

(ÏÔ) الانزياح الصوتي/50.

(ÏÕ) جماليات المفردة/20.

(ÏÖ) ينظر: الساميون ولغاتهم/127 و الطير الأبابيل في واقعة النيل وما يراه الشيخ محمد عبدة في ذلك،

د. الشيخ عبد الرحمن تاج، مجلة مجـــمع اللغــة العربية، ج29، ص22، صفر 1392 هـ مارس 1972م.

( ×Ï) الإيقاع أنماطه ودلالاته/121.

( Î ) الإعجاز الصوتي في قصار السور/24.

( ï ) مقالات في الأسلوبية/38 و ينظر: معارج التفكر 17/2.

( ) ينظر: المحتسب/374/2.

(Ñ ) تفسير التحرير والتنوير 535/30.

(Ò ) معدل نسبة صوت اللام في جزء عَمّ هو 10.38%.

(25) ينظر: بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عمَّ يتساءلون) برواية حفص عن عاصم دراسة صوتية / 265

(Ô ) ينظر: في ظلال القرآن/261/30.

(Õ ) ينظر: التفسير الكبير/103/32.

(Ö ) معارج التفكر 432/2 و 437.

## قائمة المصادر

### أولاً. الكتب المطبوعة:

- **التعبير الفني في القرآن:** د. بكري شيخ أمين، حلب، 1392 هـ – 1972م، دار الشروق.

- **تفسير التحرير والتنوير:** محمد الطاهر بن عاشور، (د.ت)، الدار التونسية لنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع و الإعلان.

- **التفسير الكبير:** الإمام الفخر الرازي، طهران، ط 2، (د.ت)، نشر دار الكتب العلمية.

- **جماليات المفردة القرآنية:** د. أحمد ياسوف، ط2، سوريا – دمشق، 1419 هـ– 1999م، دار المكتبي.

- **الساميون ولغاتهم، تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب:** د. حسن ظاظا، ط2، دمشق– بيروت، 1410 هـ – 1990م، مكتبة الدراسات اللغوية

- **صفاء الكلمة:** د. عبد الفتاح لاشين، القاهرة، 1403 هـ - 1983م، دار المريخ للنشر، مطبعة نهضة مصر.

- **في ظلال القرآن:** سيد قطب، ط 3، بيروت- لبنان، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي.

- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها:** أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، و د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، 1389 هـ - 1969م، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- **معارج التفكر ودقائق التدبر:** عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط 1، دمشق، 1420 هـ - 2000م.

- **معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري وما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة:** محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، بيروت، (د.ت)، دار المعرفة للطباعة والنشر.

- **مقالات في الأسلوبية:** د. منذر عياش، سوريا، 1411 هـ - 1990م، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

- **من بلاغة القرآن:** أحمد أحمد بدوي، القاهرة، 1370 هـ - 1950م، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

## ثانياً: الرسائل و الأطاريح الجامعية:

- **الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم، دراسة أسلوبية دلالية:** عبد الواحد زياد اسكندر المنصوري، رسالة ماجستير، بإشراف: أ.د. أحمد جاسم النجدي، مقدمة لكلية الآداب، جامعة البصرة، 1416 هـ - 1995م.

- **بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء (عمّ) يتساءلون برواية حفص عن عاصم دراسة صوتية** :عزّة عدنان أحمد عزّت ، أطروحة دكتوراه ، بإشراف د. رافع عبد الله مالو ، مقدمة لكلية الآداب ، جامعة الموصل ، 1426 هـ - 2005 م .

## ثالثاً. البحوث المنشورة والمقبولة للنشر في الدوريات والكتب الجامعة:

- **الإعجاز الصوتي في قصار السور:** أحمد فليح، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 12، العدد (5)، جمادي الأولى 1426 هـ - حزيران 2005 م.
- **الانزياح الصوتي الشعري:** د. ثامر سلوم، آفاق الثقافة والتراث، الســـنة الرابعة، ع 13، سنة 1996م.
- **الطير الأبابيل في واقعة الفيل وما يراه الشيخ محمد عبده في ذلك:** د. عبد الرحمن تاج، مجلة مجمع اللغة العربية، ع29، سنة 1972.
- **من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم:** محمد السيد سليمان العبد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، السنة التاسعة، ع 36، سنة 1989م، الكويت.